جامعة الفيوم
كلية دار العلوم

أسئلة وإجابات الفرقة الثانية لمادة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور/ صلاح الدين محمد نوار

السؤال الأول:

تحدث عن علاقة الخلافة العباسية بالمغرب والأندلس في العصر العباسي الأول (٣ درجات)

إجابة السؤال الأول

سياسة المنصور تجاه المغرب والأندلس

المسألة الثانية التي أهتم بها المنصور في سياسته الخارجية هي محاولة استعادة المغرب والأندلس إلي الخلافة العباسية كما كانت في عهد بني أمية، لقد كانت الدعوة في المغرب والأندلس منذ الفتح العربي لتلك البلاد قائمة لخلافة دمشق الأموية التي ما كاد ينتهي أجلها سنة ١٣٢هـ حتى سيطرت علي تلك البلاد دويلات وخلافات إسلامية مستقلة تدين بمذاهب مختلفة.

ففي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور قامت دولتان خارجيتا إحداهما تدين بالمذهب الصفري، وهي دولة بني مدرار أو بني واسول الصفرية التي قامت في منطقة سجلماسة (تلافيلالت الحالية) في جنوب المغرب الأقصي سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) ومؤسسها كان سودانيا أسود اللون يدعي عيسي بن يزيد المكناس الصفري، أما تسميتها بدولة بني مدرار و بني واسول فنسبة إلي اسم ثالث ملوكها أبي القاسم سمعون بن واسول الملقب بمدرار، والذي استمر ملك هذه الدولة في أبنائه من بعده.

والدولة الخارجية الثانية هي الدولة الرستمية الأباضية التي قامت في المغرب الأوسط سنة ١٤٤هـ (٧٦١ م) ومؤسسها رجل فارسي الأصل وهو عبد الرحمن بن رستم، وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة تاهرت التي بناها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧م) وتقع قريبا من تياريت Tiaret في ولاية وهران Oran غربي الجزائر، لم يلبث هذه المدينة أن ازدهرت وهاجر إليها التجار والعلماء والطلبة من جميع أنحاء العالم الإسلامي

حتى صارت تسمي بالعراق الصغير تشبيها لها بالعراق بمختلف الأجناس والملل والنحل.

ومذهب الخوارج انتشر في المغرب منذ أيام الأمويين ولقي نجاحا كبيرا بين البربر لأنه يقوم علي مبدأ عدم حصر الخلافة في بيت معين أو جنس معين ويري تركها لاختيار الشخص الصالح لها بغض النظر عن جنسه أو نسبه أو حسبه أو لونه مادام مستوفيا لشروط الخلافة.

لهذا وجد البربر أن مذهب الخوارج يناسب وضعهم الاجتماعي والسياسي، فاتخذوا عنوانا للمعارضة القومية ضد أي سيادة تفرض عليهم، وكانت الصفرية والاباضية أكثر مذهب الخوارج رواجا في المغرب، وأكثرهما اعتدالا وتسامحا مع المخالفين إذا قورنت بغيرها من المذاهب الخارجية الأخرى،مثل مذهب الأزارقة في المشرق، فالصفرية والاباضية لا يرون إباحة دماء المسلمين ولا يرون جواز سبي النساء والأولاد ولا يرون قتال أحد سوي جيش الحكومة، ولا زالت دعوة الاباضية قائمة في المغرب في جنوب طرابلس الغرب وفي جبل نفوسة بليبيا، وكذلك في منطقة مزاب في جنوب الجزائر.

ولم تقتصر هذه الحركات الاستقلالية علي المغربين الأقصى والأوسط، بل امتدت أيضا إلي المغرب الأدنى الذي يطلق عليه اسم أفريقية. وذلك عندما استقل بها بعض المغامرين وقطعوا الخطبة للمنصور، ونزعوا شعار العباسيين.

ولم يقف المنصور أمام هذه الحركات مكتوف الأيدي، بل أرسل الحملات العسكرية، البرية والبحرية، إلي المغرب لإعادة سلطان الخلافة علي تلك البلاد، وقد منيت بعض هذه الحملات بالهزيمة، وأخيرا استطاع القائد محمد بن الأشعث الذي كان واليا علي مصر أن يدخل القيروان ويسيطر علي أفريقية.

وهكذا تمكن المنصور من استعادة المغرب الأدني للخلافة، إلا أن نفوذه لم يتجاوز هذه البلاد إلي داخل المغرب حيث ظل الرستميون في المغرب الأوسط، والمداريون في المغرب الأقصى يحكمون تلك البلاد حكما مستقلا.

وما يقال عن المغرب يقال أيضا عن الأندلس التي فر إليها عقب سقوط الدولة الأموية أمير أموي وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي لقب بالداخل لدخوله الأندلس. واستطاع هذا الأمير بمساعدة القبائل اليمنية أن ينتصر علي المضرية ويستقل بحكم الأندلس، وظن اليمنيون أن عبد الرحمن سوف يكون أداة طيعة في أيديهم ، وأنهم سيكونون أصحاب

النفوذ في البلاد نظير المساعدات الحربية التي قدموها له، ولكن عبد الرحمن رفض مطالبهم، وقابل استياءهم بانضمام صريح إلي أعدائهم المضرية، وقد آثار هذا العمل غضب اليمنيين وظلوا ينتظرون الفرصة المواتية للإحاطة بحكمه.

وطمع الخليفة المنصور في استرداد الأندلس وإعادتها إلي الخلافة كما كان الحال في عهد الدولة الأموية، فاتفق مع زعيم عربي من سكان مدينة باجة Beja في غرب الأندلس (جنوب البرتغال حاليا) اسمه العلاء بن مغيث الجذامي، ووعده بإمارة الأندلس أن هو انتصر علي خصمه وبعث إليه بلواء الدولة العباسية، وبسجل تعيينه علي الأندلس.

أخذ أبو العلاء يدعوا الناس سرا إلي طاعة الخليفة المنصور، واستطاع أن يضم إليه العناصر الساخطة علي عبد الرحمن ولا سيما القبائل اليمينية التي كانت تريد الانتقام من عبد الرحمن بسبب ميله إلي المصرية.

وبعد أن اشتد بأسه قام العلاء بثورته في مدينة باجة سنة ١٤٧هـ (٧٦٤ م) فتوجه إليه عبد الرحمن لمحاربته، لكن العلاء انتصر عليه انتصارا كبيرا، وحاصره في مدينة قرمونة بالقرب من أشبيلية، وأمام هذا الخطر جمع عبد الرحمن جنوده، وأشعل نارا عظيمة، وصاح فيهم قائلا: (أمامنا الآن طريقان أما النصر أو الموت فاخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع) ثم رمي بقراب أو جفن سفيه في النار، فثارت الحمية والنخوة في نفوس جنوده، وألقوا بأجفان سيوفهم في النار ثم اندفعوا خلف قائدهم الذي استطاع أن يخترق الحصار بهجوم جرئ خاطف ثم انقض علي الجيش المحاصر وشتت شمله وقتل قائدة العلاء وعددا كبيرا من رجاله.

ويروي أن عبد الرحمن أخذ رأس العلاء وحشاه بالملح والكافور ثم وضعه في قفة مع السجل واللواء العباسي وأرسله مع أحد الحجاج الأندلسيين وأمره بأن يضعه أمام سرادق المنصور الذي حج في تلك السنة، فلما رأي المنصور رأس العلاء أنزعج وقال: الحمد الله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان (يقصد عبد الرحمن) بحرا !، كذلك يروي المؤرخون أن المنصور سأل أصحابه يوما عن الرجل الذي يستحق أن ينال لقب صقر قريش، فذكروا له أسماء عدد من كبار الشخصيات الإسلامية ومن بينهم اسم الخليفة المنصور نفسه ولكنه أجابهم بالنفي ثم قال أن صقر قريش هو هذا الأمير الشجاع عبد الرحمن الذي ذهب إلي الأندلس شريدا طريدا واستطاع بذكائه وشجاعته أن يؤسس

هنالك ملكا عريضا، ومنذ ذلك الوقت صار عبد الرحمن يلقب بصقر قريش.

سياسة الخليفة المهدي تجاه المغرب والأندلس

أما فيما يتعلق بسياسة المهدي نحو الأندلس، فهي استمرار لسياسة أبيه في محاولة استرجاع الأندلس إلي الدولة الإسلامية.

اشترك المهدي في مؤامرة كبرى للقضاء علي عبد الرحمن الداخل في الأندلس واشترك معه ثلاثة رجال: أولهما كان واليا مغامرا ببلاد المغرب واسمه عبد الرحمن بن حبيب الفهري، ويلقب بالصقلي، تمييزا له عن والي آخر بهذا الاسم، ولأنه كان يشبه الصقالية في مظهره من حيث طول القامة وشقرة اللون.

أما الرجل الثاني فيدعي سليمان بن يقظان الأعرابي حاكم مدينة سرقسطة Zaragoza في شمال أسبانيا وتعرف بالثغر الأعلى لأنها كانت قاعدة الخطوط الدفاعية الأمامية في الأندلس. وكان هذا الوالي علي خلاف مع الأمير عبد الرحمن لأسباب سياسية، لأن عبد الرحمن كان يميل إلي المضرية ويعادي اليمنية التي ينتمي إليها هذا الوالي الأعرابي.

أما الرجل الثالث فهو شخصية أوروبية كبيرة، وهو شرلمان أقوى ملك في أوروبا في ذلك الوقت. وقد رحب شرلمان بمشروع غزو الأندلس لأنه سيكسبه نفوذا أدبيا كبيرا في العالم المسيحي وفي الخلافة العباسية الإسلامية فضلا عن أنه سيزيد من قدره غلي منافسه إمبراطور الدولة البيزنطية بالقسطنطينية. وكان شرلمان في حاجة ماسة إلي مثل هذا النفوذ الديني والسياسي لأنه سيساعده في تنفيذ مشروعه الذي كان يسعي إلي تحقيقه في ذلك الوقت وهو إعادة تكوين الإمبراطورية الرومانية الغربية.

وكانت الخطة المتفق عليها هي أن يعبر شرلمان بجيوشه جبال البرتات (البرانس)Pirineos شمال أسبانيا ويتجه إلي مدينة سرقسطة فيسلمها له ابن الأعرابي.وفي نفس هذا الوقت يأتي ابن حبيب القهري من المغرب في أسطول قوي ويهاجم الساحل الشرقي الأندلس وينزل في مدينة مرسية Murcia، وبهذا يطوقون عبد الرحمن ويقضون عليه ثم يعلنون أن البلاد للخليفة العباسي صاحبها الشرعي وأن شرلمان صديقه وحليفه.

وقد تبدو هذه المؤامرة محكمة في تدبيرها إلا أنها في الواقع كانت صعبة في تنفيذها من الناحية الإستراتيجية، لأن نقل

الجيوش من مكان إلـي آخـر فـي هـذه الـبلاد الـوعرة وفـي هـذه الأوقات المحددة، أمر ليس من السهل تنفيـذه.حتـى فـي عـصرنا الحـديث مـع وسـائل النقـل الحديثـة، فمـا بالنـا بوسـائل العـصر الوسـيط ! وكيفمـا كـان الأمـر فقـد نـزل عبـد الـرحمن بـن حبيـب القهري بجيـشه وأسـطوله علـي سـاحل مرسـيه سـنة ١٦٠هـ (٧٧٧م) قبل أن يصل شـرلمان في الميعـاد المتفـق عليـه. وانتهـز عبد الرحمن الداخل هذه الفرصة وسارع في مهاجمة ابـن حبيـب قبل أن ينضم إليه بقيـة حلفائـه.وكانـت خطـة عبـد الـرحمن فـي حروبه دائما، أن ينازل أعداءه منفردين كـي يـسهل عليـه القـضاء علـيهم واحـدا بعـد الآخـر.وهـذه هـي الطريقـة التـي سـار عليهـا نابليون بونابرت في العصر الحديث وكانت سر عظمته.

وهكذا استطاع الأمير عبد الرحمن أن يباغت ابن حبيب عند ساحل مرسية فيقضي عليه ويحرق أسطوله.

وفي سنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) أتي شرلمان من فرنـسا وعبـر جبال البرانس متجها إلي سرقسطة.

وهناك خرج والي المدينة سليمان بن الأعرابـي لاسـتقباله خارج المدينة، غير أن أهالي سرقسطة رفـضوا تـسليم مـدينتهم لملك مسيحي فقاموا بثورة تزعمها رجل منهم اسـمه الحـسين بن يحيي الأنـصاري وأغلقـوا أبـواب المدينـة فـي وجـه شـرلمان وحليفه سليمان بن الأعرابي. واضطر شرلمان بعد ذلك أن يحاصر المدينة لأخذها بالقوة، ولكنه فـي ذلـك الوقـت بلغتـه الأنبـاء مـن بلاده أن القبائل السكسونية الجرمانية قد قامت بثورة خطيرة في ألمانيا، وأنها تركت الديانة المسيحية وارتدت إلي ديانتهـا الوثنيـة القديمة. واضطر شـرلمان إلـي العـودة إلـي بـلاده سـنة ١٦٢ هـ وصحب معه سليمان بن الأعرابي كأسير حرب لأنه كان الـسبب في فشل حملته علي الأندلس.

وبينما كان شرلمان يعبر جبال البرانس عائدا إلي بلاده، إذا بسكان هذه المناطق الجبلية ويعرفون باسم البشكنس vascos، يهاجمون مؤخرة جيشه ويقـضون عليهـا..ويقـال أن هـذا الهجـوم كان بالاشتراك مع قوة عربية يقودها أبناء سـليمان ابـن الأعرابـي الذين أرادوا الانتقام لأبيهم.

هـذا الهجـوم الأسـباني العربـي المـشترك علـي الجـيش الفرنسي أدي إلي إفناء مؤخرة هذا الجيش وقتل قائده واسمه رولان Roiand.وقد ظهرت بعد هـذه الحادثـة بمـدة طويلـة ملحمـة فرنـسية تـشيد ببطولـة هـذا الـضابط الفرنـسي، وتـصف هـذه المعركة وصفا أسطوريا بعيدا عن الحقيقـة التاريخيـة. وقـد عرفـت

هذه الملحمة في الأدب الفرنسي باسم أغنية رولان Chanson de Roland.

مما تقدم نري أن العباسيين قد فشلوا للمرة الثانية في استرجاع الأندلس، والفضل في ذلك يرجع إلي صعوبة تنفيذ المؤامرة واتساع نطاقها، كما يرجع أيضا إلي شجاعة الأمير عبد الرحمن وسرعته في مهاجمة أعدائه. وبعد فشل هذه الحملة سار عبد الرحمن إلي سرقسطة واستولي عليها سنة ١٦٣ هـ وعاقب الخونة فيها.

السؤال الثاني:

تحدث عن ثورات الخوارج والعلويين فى العصر العباسي الأول وموقف الخلافة منها؟ (٣ درجات)

إجابة السؤال الثاني

فى عصر الخليفة أبو العباس السفاح

إخماد الفتن والثورات الداخلية التي قامت ضد الحكم العباسي، ويلاحظ أن معظم هذه الثورات قامت في المناطق العربية مثل فلسطين والشام والجزيرة التي كانت مركزا للنفوذ العربي ثم شعرت بأن هذه النفوذ لم يلبث أن زال منها وتحول إلي خراسان ويلاحظ أن هذه الثورات كانت ترفع الأعلام البيضاء وتسمي نفسها بالمبيضة كدليل علي عصيان العباسيين المعروفين بالمسودة.

من هذه الثورات نذكر ثورة حبيب بن مره في إقليم البثينة بفلسطين، ثورة أبي الورد بالشام، وثورة أبن إسحاق بن مسلم أحد قواد مروان بن محمد، بالجزيرة شمالي العراق، ويلاحظ أن هذه الثورات كانت إقليمية متفرقة بدأت في فلسطين ثم الشام ثم الجزيرة، فكأنها كانت تقترب من مركز الخلافة بالعراق شيئا فشيئا، ولكن كان ينقصها التنظيم والتضامن ولهذا استطاعت جيوش الخلافة العباسية أن تقضي عليها في الحال.

ولي بعد أخيه أبي العباس وكانت الدولة لا تزال مضطربة ولم تتوطد أركانها بعد غير أن المنصور استطاع أن يدعم أركانها بفضل تجارته وحزمه ودهائه وطول مدة حكمه بحيث يمكن القول أنه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية.

اضطربت خراسان جميعها لمقتل أبي مسلم، وظهرت من جراء ذلك فرق دينية غريبة عن الإسلام كان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون ديانتهم المجوسية القديمة، فلما قتل أبو مسلم، أعلنوا الثورة واتخذوا من مأساته وسيلة لإحياء ديانتهم القديمة واعتبروه رمزا لحركاتهم الدينية الهدامة.

ومن بين هذه الحركة نذكر الفرقة المعروفة بالسليمة نسبة إلي أبي مسلم، وكانت مبادؤها هي مبادئ الخرمية والمزدكية القديمة. وتزعم حركة المسلمية رجل من صنائع أبي مسلم يدعي سنباذ بدأ ثورته في نيسابور سنة ١٣٧ هـ ونادي بإمامه أبي مسلم وقال بأنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر ويملأ الأرض عدلا ورحمة ويعيد دولة المجوس ويزيل ملك العرب. واضطر المنصور أن يرسل إليه جيشا كبيرا تمكن من هزيمة وقتله

بنواحي طبرستان بعد سبعين يوما من قيام حركته.

حركة أخري قامت بعد مقتل أبي مسلم وهي حركة الرواندية نسبة إلي قرية رواند بالقرب من أصفهان، وأتباعها يعتقدون في تناسخ الأرواح ويقولون أن روح آدم حلت في الأنبياء واحدا بعد الآخر إلي أن حلت في أبي مسلم، وأن روح الله حلت في أبي جعفر المنصور، وقد سافر بعضهم من خراسان إلي هاشمية الكوفة سنة ١٤١ هـ وأخذوا بقصر الخليفة وينادون المنصور بقولهم أنت أنت أي أنت ربنا. وقد حاربهم المنصور بشدة وعنف، وأنشأ منذ ذلك الوقت حرسا خاصا من سلاح الفرسان يتناوبون في حراسة القصر الخليفي ليلا ونهارا خوفا من أي هجوم مفاجئ يقع عليه.

وهكذا نري مما تقدم أن الخليفة المنصور استطاع أن يقضي علي هذه الثورات ويقتل زعماءها، إلا أنه مع ذلك لم يقطع دابرها ولم يقض علي مبادئها، إذ نراها تظهر بعد ذلك من وقت لآخر.

وكيفما كان الآمر فأن ظهور هذه الحركات بعد مقتل أبي مسلم يدل علي مدى النفوذ الذي تتمتع به أبو مسلم في تلك الجهات.

التغلب علي ثورة العلويين:

تزعم هذه الثورة العلوية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية (أي الطاهر من الذنوب) واشترك معه أخوه إبراهيم.

ونلاحظ أن القائمين بهذه الثورة هم الفرع الحسني للعلويين، أما الفرع الحسيني ويمثله في ذلك الوقت الأمام جعفر الصادق، فأنه لم يشترك في الثورة ضد العباسيين بل اتخذ سياسة التريث (التقية) إلي أن يأتي الوقت المناسب، ولهذا كان الأمام جعفر الصادق موضع إطراء المنصور في الخطابات التي تبادلها مع محمد النفس الزكية.

وكان محمد النفس الزكية يري أنه أحق بالخلافة من العباسيين استنادا إلي حقه الشرعي بصفته حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، واستنادا إلي مبايعه الهاشميين له بالخلافة أواخر الدولة الأموية.

وكان المنصور يشك في نوايا محمد ويخشي طموحه في الخلافة، وقد ازدادت شكوكه عندما حج سنة ١٤٠ هـ وتخلف محمد وأخوه وإبراهيم عن المثول بين يديه، وكان يقيمان في الحجاز في مكان غير معروف.

لهذا اهتم المنصور بالبحث عنهما واستطلاع أخبارهما،

فأوعز إلي ولاته في الحجاز بمراقبة بني الحسن والتضييق عليها، وحينما حج المنصور سنة ١٤٤ هـ قبض علي آل الحسن جميعا وأرسلهم إلي العراق وسجنهم بالكوفة لأنهم يتسترون علي المكان الذي يوجد فيه محمد النفس الزكية.

ورأي المنصور بعد ذلك أن يستعمل أساليب الدهاء ليعجل من ظهور محمد ومن قيامه بثورته قبل أن يستفحل خطره، فدس له عيونا يتظاهرون بأنهم أتباعه ويوهمونه بأن دعوته قد عمت الأقطار، وكذلك أوعز المنصور إلي قواده بأن يكتبوا إلي محمد ويخبرونه بأنهم معه ويدعونه إلي الظهور.

وانخدع محمد بهذه الحيلة إذ كان يقول لأتباعه: (لو التقينا مال إليّ القواد كلهم) ، وفي أول رجب سنة ١٤٥ هـ خرج محمد النفس الزكية من مكمنه وأعلن ثورته في المدينة المنورة، وكان متفقا مع أخيه إبراهيم علي أن يثور هو الآخر وفي نفس الوقت بمدينة البصرة في جنوب العراق حتى يقع المنصور بين ناريين.

ولكن حدث أن مرض إبراهيم بالجدري فتأخرت ثورته مدة شهرين مما أتاح الفرصة للمنصور كي يقضي علي الأخوين واحدا بعد الأخر.

اتخذت الحرب صفة كلامية في بادئ الأمر وذلك عن طريق إلقاء الخطب،تبادل الرسائل واستخدام أساليب الدعاية المختلفة، حيث أخذ كل فريق وشرح وجهة نظره وحقه في الخلافة ويتفاخر بنسبه وحسبه، وقد أورد الطبري نصوص هذه الرسائل في تاريخه.

وحاول المنصور استعمال طرق اللين والمداراة فدعا محمدا إلي حل الخلاف حلا سلميا وأعطاه أمانا علي نفسه وولده وأخوته ومن بايعه، ووعده بإنزاله حيث شاء من البلاد، كما عرض عليه مبلغا كبيرا من المال، وقد رد محمد علي المنصور بأمان مثله أن هو دخل في بيعته لأنه أحق منه بالخلافة ثم أتهم المنصور بأنه رجل لا أمان له مطلقا قال له: (وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي.... وأنا أولي منك وأوفي بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلي، فأي الأمانات تعطيني، أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم !؟).

وبعد فشل هذه المراسلات أرسل المنصور ولي عهده وابن أخيه عيسي بن موسي علي رأس جيش كبير إلي المدينة، ويلاحظ أن المنصور حرص علي جعل قيادة الجيش لأحد الأمراء البارزين في الأسرة الهاشمية حتى يكون له تأثير قوي في رفع

روح الجنود المعنوية.

وقامت الحرب بين الفريقين وكان وضع محمد في الحجاز سيئا للغاية من الناحية الاستراتيجية لأن الحجاز قطر قاحل فقير في غلاته ورجاله وسلاحه، ويضاف إلي ذلك أن المنصور قطع عنه الأقوات والمؤن الواردة إليه من الشام ومصر وطمر الخليج أمير المؤمنين في مصر (وهي الفتاة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر لإمداد الحجاز بالغلال).

هذا إلي جانب أن محمدا حفر حول المدينة خندقا اقتداء برسول الله { ε }، فأتم بذلك الحصار الاقتصادي عليه فلما وصل الجيش العباسي تخلي عن محمد كثير من اتباعه فضعفت قوته وانتهي بهزيمته وقتله وإرسال رأسه إلي المنصور في منتصف رمضان سنة ١٤٥هـ.

ثم تحول القائد عيسي بن موسي بعد ذلك إلي قتال إبراهيم في جنوب العراق، وهناك عند قرية باخمري بالقرب من الكوفة التقي الفريقان في معركة حاسمة هزم فيها الجيش العلوي وقتل إبراهيم في أواخر ذي القعدة سنة ١٤٥هـ ولذا سمي بشهيد باخمري.

هذا وتنبغي الإشارة هنا إلي أن الأمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (المدينة) اتهم بالميل إلي ثورة محمد النفس الزكية وأنه كان يفتي أهل المدينة خلال الثورة بأنه ليس علي مكره يمين أو طلاق، وهو يقصد بذلك أن من بايع أبا جعفر المنصور مكرها، فهو في حل من بيعته وله أن يبايع محمدا النفس الزكية، وقد لحق مالك أذي كبير من جراء ذلك ˈذ ضربه العباسيون بالسياط ومنعوه من الخوض في هذا الحديث، وعلي الرغم من أن الخليفة المنصور تبرأ من هذا العمل وألقي تبعته علي والي المدينة جعفر بن علي، فإن هذا الحادث جعل لمالك بن أنس ومذهبه المالكي مكانه مرموقة في بلاد المغرب والأندلس، فيري المؤرخون أن كره مالك للعباسيين كان من الأسباب التي جعلت الأمويين في الأندلس يعتنقون المذهب المالكي ويجعلونه المذهب الرسمي لدولتهم وذلك لعدائهم الشديد للعباسيين، كذلك يروي أن الأمام إدريس بن عبد لله ـ أخو محمد النفس الزكية ـ الذي فر إلي المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة وهناك، علق علي حادثة الأمام مالك بقوله (نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتابه الموطأ، وأمر بذلك في جميع عمالته).

وكيفما كان الأمر فأنه يبدو أن الخليفة المنصور قد شعر في سنة ١٤٥ هـ وهي السنة التي انتصر فيها علي جميع الثورات،

أنه قد صار خليفة حقاً بدون منازع ولهذا عمد إلي تخليد هذا الانتصار فلقب نفسه بالمنصور في تلك السنة.

وفى خلافة محمد المهدي(١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م)

امتدت خلافته حوالي عشر سنوات، وجاء إلي الحكم والبلاد منهوكة القوى من كثرة ما أريق فيها من دماء، فكان الناس كما وصفهم المنصور في وصيته لابنه: (آني تركت الناس ثلاثة أصناف: فقيرا لا يرجو إلا غناك، وخائفا لا يرجو إلا أمنك، ومسجونا لا يرجوالفرج إلا منك).

ولذلك كان من الضروري أن يتخذ المهدي سياسة لينة يداوي بها الجراح والنفوس، ويجمع بها الشمل: من ذلك مثلا أنه رد معظم الأموال التي صودرت علي عهد أبيه إلي أصحابها، كذلك أطلق سراح المسجونين السياسيين ولاسيما العلويين منهم، وأمر لهم بأرزاق وصلات. كذلك عمل المهدي علي استرضاء أهل الحجاز الذين سبق أن عاملهم المنصور بكل شدة وعنف لتأييدهم ثورة محمد النفس الذكية. فحينما حج المهدي سنة ١٦٠هـ، وزع علي أهل الحجاز أموالا طائلة، وأعاد إليهم الغلال والحبوب الواردة من مصر والشام. وكان المنصور قد قطعها عنهم خلال ثورة محمد النفس الذكية. كذلك ضم إلي حرسه الخاص عددا من الجنود الحجازيين يبلغ الخمسمائة كوسيلة لاسترضائهم، أو لحفظ التوازن بين العجم والعرب في جيشه. أما من جهة أهل الشام، فقد عمل المهدي أيضا علي اكتساب مودتهم فزارهم في بلادهم ونزل دمشق والقدس وفرق عليهم الأموال، وعمل علي إزالة الخلافات التي بين القبائل المختلفة هناك.

ولقد حرص المهدي علي إقامة العدل بين الناس، فكان يجلس مع القضاة في بغداد عند النظر في المظالم، كما اتخذ بيتا له نافذة من حديد كي يضع فيه الناس عرائض شكواهم، فيمكن بذلك النظر فيها دون إبطاء أو تأخير.

مشكلة الزنادقة

أهم المشاكل الداخلية التي اعترضت حكم المهدي هي مشكلة الزنادقة أو الهراطقة في الدين. وقد أطلقت في الأصل علي إتباع الديانات المجوسية الفارسية القديمة كالزرادشتية والمانوية . وتنسب الزرادشتية إلي مؤسسها زرادشت في القرن السادس قبل الميلاد، وتقول بأن الوجود قائم علي مبدأين أساسيين هما الخير و الشر أو النور والظلام. وبما أن النور مصدر الشمس والشمس من نار، لهذا قدسوا النار وعبدوها. فزرادشت

هو منشئ الطائفة المجوسية ولـه كتاب مقدس يعرف باسم الأفستا . والمانوية فرع من الزرادشتية وتنسب إلي مؤسسها ماني في القرن الثالث الميلادي، وأتباعها لهم نزعة صوفية هدامة تحض الناس علي الزهد وعدم الزواج والإنتاج، ويرون أن الخير في العدم المطلق. وقد كتبوا شروحا وتأويلات حول كتاب الأفستا عرفت باسم الزند. ولهذا قيل أن كلمة زنديق أو زنديك بالفارسية تعني متبع الزند.

ولعل اهتمام المهدي بأمر الزنادقة راجع إلي ظهور بعض هذه الحركات الإلحادية في عهده. وقد سبق أن أشرنا إلي فرق المسلمية والراوندية التي ظهرت بعد مقتل أبي مسلم الخراساني في عهد المنصور. ولقد استمرت هذه الموجة الإلحادية في عهد المهدي أيضا. ونذكر علي سبيل المثال ثورة المقنع سنة ١٥٩ هـ، وهو رجل فارسي من مدينة مرو ومن رجال أبي مسلم المقربين إليه واسمه هاشم بن حكيم وقد لقب بالمقنع لأنه كان يضع علي وجهه قناعا أو نقابا موشي بالذهب كي يخفي وجهه الدميم المشوه، أو كما يزعم أتباعه - كي يحجب الذات الإلهية التي تجسدت فيه عن عيون الناس الدنسة الغير جديرة بالنظر إليه.

نادي المقنع بمبادئ والراوندية التي تقول بالحلول والتناسخ وأن روح آدم حلت في الأنبياء إلي أن وصلت إلي أبي مسلم ثم حلت في المقنع بعده. فهي حركة سياسية دينية متصلة بشخصية زعيم الفارسي أبي مسلم. ولهذا انتشرت هذه الثورة في خرا سان وبلاد ما وراء جيحون.

ولقد حاربه المهدي بكل شدة وعنف إلي أن قضي عليه هو وإتباعه سنة ١٦٣ هـ إلا أن نهاية المقنع يحوطها الغموض إذ يبدو أنه أحرق نفسه بالنار في اللحظة الأخيرة كي يثير الاعتقاد بأنه صعد إلي السماء. أما أتباعه فقد انتحروا بطريقة أخرى، إذ يروي ابن الأثير أنه لما حاصرت جيوش المهدي أفراد هذه الطائفة،شربوا سما زعافا أماتهم جميعا مما يدل علي تعصبهم الشديد لمبادئهم.

علي أن إخماد ثورة المقنع لم تقض علي مبادئه التي ظلت باقية منتشرة مما جعل المهدي يهتم بأمر هذه الحركات الإلحادية الهدامة، فأنشأ لها ديوانا جديدا سماه ديوان الزنادقة، وقد خول له الخليفة سلطات واسعة منها الحكم بالإعدام علي كل من يدان بهذه التهمة. كذلك كان للزنادقة سجن خاص سمي بسجن الزنادقة. علي أنه يلاحظ أن تهمة الزندقة لم تقتصر علي إتباع

الديانات والأفكار الفارسية القديمة، بل صارت تطلق أيضا علي أصحاب النزعات التحررية ضد التقاليد القديمة وقد انتشرت هذه النزعة في أوساط المثقفين بصفة خاصة كذلك أطلقت علي الماجنين المستهترين لإفراطهم في شرب الخمر والمجون. كذلك ألقيت هذه التهمة في يعضا الأحيان علي الأشخاص الغير مرغوب فيهم سياسيا كوسيلة للانتقام أو التخلص منهم وكانت النتيجة أن قتل كثير من الناس ظلما تحت ستار الزندقة.

ومن الشخصيات الهامة التي وجهت إليها تهمة الزندقة الكاتب المعروف الفارسي الأصل عبد الله بن المقفع الذي ترجم عددا من أمهات الكتب عن الفارسية مثل كتاب كليلة ودمنة الهندي الأصل. ويقال أنه قتل لأسباب أخري سياسية وهي تزوير بعض الوثائق الرسمية الخاصة بصياغة الأمان الذي أعطاه المنصور لعمه عبد الله بن علي، إذ كان هو الذي تولي صياغته. كذلك تذكر الشاعر الضرير الفارسي الأصل بشار بن برد الذي قيل أن المهدي رآه في البصرة يؤذن وهو سكران فاتهمه بالزندقية وضربه بالسياط حتى مات. وقيل أنه قتل بدسيسة وزير المهدي يعقوب بن داود لأن بشار هجاه. وفي عهد الرشيد اتهم البرامكة بالزندقة لأنهم كانوا يشجعون المناظرات الكلامية بين علماء المسلمين وغير المسلمين في الموضوعات المختلفة. كذلك اتهم الشاعر أبو تواس بالزندقة لنزعته التحررية ....الخ

ومن يتصفح كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني يجد أخيارا وتراجم كثيرة لهؤلاء الزنادقة.

سياسة المهدي نحو العلويين:

سبقت الإشارة إلي أن المهدي عمد إلي التقرب من العلويين فأطلق سراح المسجونين منهم، ورد إليهم الأموال التي صودرت منهم. ولكنه في الوقت نفسه أهتم بتتبع أخبارهم. ويقال أنه استوزر يعقوب بن داود لأنه كان يقول بما تقول به الشيعة الزيدية، ولأنه اشترك في ثورة محمد النفس الزكية، فكان ملما بأخبارهم فالمهدي حينما استوزره أراد أن يأنس العلويين بحكمه من جهة، وليعرف أخبارهم بواسطته من جهة أخرى.

وكيفما كان الأمر فإن العلويين لم يثوروا في عهد المهدي وإنما ثاروا في عهد ابنه الهادي بعد ذلك.